غيره فلا تتقون عذابه تعالى الذي يستوجبه ما أنتم عليه من ترك عبادته سبحانه وحده وإشراككم به D في العبادة ما لا يستحق الوجود لو لا إيجاد ا تعالى إياه فضلا عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الإتقاء مع تحقق ما يوجبه ويجوز أن يكون التقدير ألا تلاحظون فلا تتقون فالمنكر كلا الأمرين فالمبالغة حينئذ في الكمية وفي الأول في الكيفية وتقدير مفعول تتقون حسبما أشرنا إليه أولى من تقدير بعضهم إياه زوال النعم ولا نسلم أن المقام يقتضيه كما لا يخفى فقال الملوأ أي الأشراف الذين كفروا من قومه وصف الملأ بالكفر مع اشتراك الكل فيه للإيذان بكمال عراقتهم وشدة شكيمتهم فيه وليس المراد من ذلك إلا ذمهم دون التمييز عن أشراف آخرين آمنوا به عليه السلام إذ لم يؤمن به أحد من أشرافهم كما يفصح عنه قول : ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا وقال الخفاجي : يصح أن يكون الوصف بذلك للتمييز وإن لم يؤمن بعض أشرافهم وقت التكلم بهذا الكلام لأن من أهله عليه السلام المتبعين له أشرافا وأما قول ما نراك الخ فعلى زعمهم أو لقلة المتبعين له من الأشراف وأياما كان فالمعنى فقال الملأ لعوامهم ما هذا إلا بشر مثلكم أي في الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة في وضع رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة ووصفوه بقوله سبحانه يريد أن يتفضل عليكم إغضابا للمخاطبين عليه عليه السلام وإغراء لهم على معاداته والتفضل طلب الفضل وهو كناية عن السيادة كأنه قيل : يريد أن يسودكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم وقيل : صيغة التفعل مستعارة للكمال فإنه ما يتكلف له يكون على أكمل وجه فكأنه قيل : يريد كمال الفضل عليكم ولو شاء ا لأنزل ملائكة بيان لعدم رسالة البشر على الإطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه السلام أي ولو شاء ا تعالى إرسال الرسول لأرسل رسلا من الملائكة وإنما قيل لأنزل لأن إرسال الملائكة لا يكون إلا بطريق الإنزال فمفعول المشيئة مطلق الإرسال المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما في قوله تعالى ولو شاء ا لهداكم ولا بأس في ذلك وأما القول بأن مفعول المشيئة إنما يحذف إذا لم يكن أمرا غريبا وكان مضمون الجزاء فهو ضابطة للحذف المطرد فيه لا مطلقا فإنه كسائر المفاعيل يحذف ويقدر بحسب القرائن وعلى هذا يجوز أن يقال : التقدير ولو شاء ا تعالى عبادته وحده لأنزل ملائكة يبلغوننا ذلك عنه D وكان هذا منهم طعن في قوله عليه السلام لهم اعبدوا ا وكذا قوله تعالى ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين .

24 .

- بل هو طعن فيما ذكر على التقدير الأول أيضا وذلك بناء على أن هذا إشارة إلى الكلام

المتضمن الأمر بعبادة ا D خاصة والكلام على تقدير مضاف أي ما سمعنا بمثل هذا الكلام في آبائنا الماضين قبل بعثته عليه السلام وقدر المضاف لأن عدم السماع بكلام نوح المذكور لا يصلح للرد فإن السماع بمثله كاف للقبول وقيل : الإشارة إلى نفس هذا الكلام مع قطع النظر عن المشخصات فلا حاجة إلى تقدير المضاف وهو كلام وجيه ثم إن قولهم هذا إما لكونهم وآبائهم في فترة وإما لفرط غلوهم في التكذيب والعناد وانهماكهم في الغي والفساد وأياما كان ينبغي أن يكون هو الصادر عنهم في مباديء دعوته عليه السلام كما ينبيء عنه الفاء الظاهرة في التعقيب في قوله تعالى فقال الملأ الخ .

وقيل : هذا إشارة إلى نوح عليه السلام على معنى ما سمعنا بخبر نبوته وقيل : إلى اسمه وهو لفظ نوح